

# بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني

إعداد: د / غيثان بن علي بن دويس

المقدمة:



يعود السبب في اختياري هذا البحث إلى محاولة معرفة بعض الجوانب التاريخية والسياسية والحضارية لبلاد السراة الممتدة من الحجاز شمالاً إلى اليمن جنوباً ، ومن يستقص تاريخ هذه المنطقة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيلة يجد شع المادة العلمية التي تتعرض لها ، مع العلم أن بها بعض العوامل المساعدة لنشوء تاريخ وحضارة بها ؛ فهي حلقة الوصل بين

اليمن في الجنوب والحجاز وما يليه من البلاد الممتدة شمالاً ، إلى جانب كثافتها البشرية التي أسهمت وتسهم في أعمال حضارية متنوعة داخل البلاد وخارجها ، مع ما بها من الموارد الاقتصادية المتعددة كالزراعة ، وممارسة الكثير من الصناعات اليدوية والحرف التقليدية ، وكذلك النشاطات التجارية المختلفة في كثير من السلع . وتوفر مثل هذه الأمور في بلاد السراة لم يكن مغرباً للجغرافيين والمؤرخين ، فيدونوا بعض الجوانب التاريخية والحضارية عن هذه البلاد ، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة تضاريس المنطقة لما يوجد بها من جبال ، ووهاد ، وهضاب وعرة المسالك ، أدى هذا إلى عدم الرغبة عند المؤلفين الأول ، فلم يكن مجال اهتمامهم ، وإن توفرت الرغبة لبعض منهم ، أن ينطلقوا من الحجاز متجهين صوب اليمن عن طريق الساحل ، أو عن الطريق الواقعة في الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، لا سيما وأنها كانت مرتبطة منذ أمد بطرق تجارية عدة يطررها الطراق باستمرار ، الأمر الذي جعل الطريق الواقعة في المناطق المرتفعة من السراة ، والممتدة من الطائف شمالاً إلى نجران وصعدة وصنعاء جنوباً ، مهمة نوعاً ما ، إلى جانب التركيبة القبلية المتنوعة فيها ، مع صعوبة سكنائها ، مما ساعد على انطوائها على نفسها ، فقلت المعلومات عنها ، وهذا من الأسباب التي جعلتني أخوض بقلمسي مع صعوبة مهمتي في الحديث عنها من خلال كتاب «صفة جزيرة العرب للهمداني» الذي أسهب أكثر من غيره من كتب التراث الإسلامي في الحديث عن الناحية الجغرافية لبلاد السراة ، وعن التركيبة السكانية فيها ، فأشار إلى بعض الجوانب الاجتماعية والطرق المعيشية ، وإلى بعض الأحوال التجارية ، والفكرية والعلمية ، ونوع من التقسيمات الإدارية ، والطرق الزراعية والرعية وغيرها ، وبعمله هذا يكون مؤلفه (صفة الجزيرة) أفضل من غيره في تدوين هذه

الجوانب عن بلاد السراة خلال الفترة التاريخية الإسلامية الأولى منها  
والوسيلة، لهذا كان اعتمادنا عليه راجين من الله السداد.

### شخصية الهمداني وحياته:

الهمداني هو الحسن بن أحمد بن يعقوب، يكنى بابن يعقوب، ويعرف  
بالنسابة، وبابن الحائك، ويسمى نفسه بـ (لسان اليمن)، ويكنى نفسه بأبي  
محمد، وهو من أسرة اتخذت بلاد همدان في اليمن مقراً لها، وقد تحدث عنها في  
الجزء العاشر من كتابه (الإكليل) حديثاً مستفيضاً، عندما تطرق في حديثه عن  
همدان وأنسابها، وعيون أخبارها، وأن والده كان تاجراً ذهب في تجارة له إلى  
حواضر الشام والعراق ومصر<sup>(١)</sup>.

أما مؤرخنا الحسن - الملقب بالهمداني - فقد ولد في شهر صفر سنة  
(٢٨٠هـ / ٨٩٣م) في بلاد همدان باليمن، ولكن المصادر المعاصرة لم تذكر شيئاً  
عن طفولته، وما إن أصبح شاباً حتى عمل مع أبيه وأقاربه في مهنة الجمالة التي  
كانت قائمة آنذاك على نقل الحجاج والتجار من حواضر اليمن إلى الطائف  
ومكة المكرمة في الحجاز، وقد أشار الهمداني إلى ذلك بقوله: (وكنتم أنظر إلى  
التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة)<sup>(٢)</sup>. وسنحت له الفرصة، أثناء تنقله  
بين مدن اليمن والحجاز أن يلتقي برجال الفكر من العلماء والمشائخ، وخاصة  
في مكة المكرمة، فدرس على أيديهم، وتعلم منهم الشيء الكثير، فتوسعت  
مداركه، ونضجت معارفه، وازدادت خبرته في الحياة لكثرة ما شاهد ورأى مما  
زاده معرفة في النفوس بمختلف أصنافها ومستويات علمها، وطرائق عيشها،  
الأمر الذي أهله لأن يكون عالماً من أعلام الفكر والمعرفة في زمنه، فألف العديد

من المؤلفات في الأنساب، والتاريخ، والجغرافيا، والآثار، وغيرها من العلوم الأخرى، وذاع صيته بين الناس، وأصبح معروفاً عند العلماء بفصاحة لسانه وقوة قلمه، وقد أثنى عليه بعض العلماء فقالوا: «إنه لم يولد مثله في اليمن، علماً وفهماً، ولساناً وشعراً، وروايةً وذكرًا، وإحاطةً بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب منها والشعر»<sup>(٢٣)</sup>. ويبدو من هذا الوصف تنوع ثقافته التي تمتع بها دون سواه، والدليل على ذلك كثرة مؤلفاته في مختلف ضروب العلم والمعرفة. وإذا استقرأنا ذكر مؤلفات الهمداني نجد لها كثرة، ولكن للأسف لم نعر إلا على القليل منها، مما اتسم بذكر الأحداث التاريخية والأنساب والأخبار عن بلاد اليمن، وكتابه (الإكليل) الذي يقع في عشرة أجزاء يتصف بهذه الصفات، وما وصلنا من هذا المصدر أربعة أجزاء: الأول، ويتحدث عن أصول العرب والعجم وأنسابهم، وخاصة نسب حمير. والجزء الثاني، ويتحدث عن ولد الهميسع بن حمير، وقد طبع الجزءان لأول مرة في القاهرة عام (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م). أما الجزء الثامن، فيتحدث عن محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها، ومراثي حمير والقيور، وقد طبع لأول مرة في بغداد عام (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م). والجزء العاشر، يتضمن أخبار همدان وأنسابها ومعارفها، وطبع لأول مرة بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

أما كتاب الجوهريين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء فهذا يعد من أبرز كتبه لأهمية مضمونه؛ لأنه يتعلق بالمعدنين الذهب والفضة، من حيث طرق تعدينهما وصياغتهما، وضرب عيارهما، وكل ما يتصل بهما في جزيرة العرب، وبخاصة في بلاد اليمن. وقد ترجم إلى الألمانية، ثم نشر باللغتين العربية والألمانية من قبل الأستاذ كريستوفر تزل (christophertoll) بمدينة أيسالا

في السويد سنة (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م). أما كتابه (صفة جزيرة العرب) الذي وصلنا جزء منه فهو - (كما أشرنا آنفاً) الركيزة الأساسية في بحثنا، ويحتمل أن يكون من خاتمة مؤلفات الهمداني؛ لأنه يشير فيه إلى كتابه (الإكليل)، ويتضمن هذا الكتاب معلومات قيمة عن شبه الجزيرة العربية، وبلاد اليمن خاصة، وقد امتازت معلوماته بدقة الوصف إلى جانب الشمولية والتعليل، والذي يهمنا من هذا المؤلف، ما كتب عن المناطق المرتفعة والواقعة جنوب الطائف والممتدة جنوباً صوب نجران، والتي أطلقنا عليها اسم «بلاد السراة» من خلال كتاب «صفة جزيرة العرب لهمداني». (انظر: الخريطة المرفقة مع البحث). وقد استعنا بمؤلفات الهمداني الأخرى التي ورد فيها معلومات ذات بال تعزز بحثنا. ونظراً لأهمية كتاب «صفة جزيرة العرب» فقد طبع عدة مرات، وأول طبعة له كانت في هولندية، عام (١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م)، ثم تلت تلك الطبعة طبعات أخرى، كان أفضلها الطبعة التي حققها محمد بن علي الأكوخ الحوالي، والتي أشرف على إخراجها حمد الجاسر عام (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، ولكونها امتازت بالصفات التي ذكرت عنها مقارنة بغيرها من الطبعات الأخرى، كانت الأساسية عندنا في بحثنا.

### جغرافية السراة الطبيعية والبشرية:

السراة: لغة، أعلا الشيء، والسراة عند العرب تعني - أيضاً - الجبال المتفاوتة الأخذ بعضها برقاب بعض ليس بينها فاصل تام. والسراة هنا: هي السلسلة الجبلية الواقعة غرب بلاد العرب، والممتدة من اليمن جنوباً إلى الحجاز ثم الشام شمالاً، وتحترق هذه السلسلة أودية وشعاب كثيرة يشرق

بعضها، وبعضها يغرب، وهي ليست في مستوى واحد من حيث الاستواء، فمنها الشامخ في العلو، ومنها المنخفض، ومنها المتوسط في الارتفاع. وقد أطلق بعض الجغرافيين القدامى على هذه السلسلة اسم الحجاز؛ لأنها حجزت بين الأغوار التهامية الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر غرباً، والهضاب الشرقية الممتدة صوب نجد شرقاً<sup>(٤)</sup>. ويطلق على هذه السلسلة اسم (الطود) ونخص بهذه التسمية الجزء الجنوبي من جبال السراة الذي يبتدئ بالطائف شمالاً وينتهي بنجران ثم صعدة وصنعاء جنوباً، ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الجبال بـ (الجبل الأسود)، ربما لأن صخوره بركانية سوداء، كما يسمى بالسراة، أو السروات، وكل قسم فيه ينسب إلى القبيلة التي تسكنه، وقد يدعى سراة دون آل التعريف. أما القسم الشمالي من السلسلة الممتدة من شمال مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وما يأتي بعدها فيسمى بحجاز المدينة أو السراة<sup>(٥)</sup>.

وطول جبال السراة وعرضها وأقسامها ماثار خلاف عند المتقدمين من الجغرافيين والمؤرخين، وفي الغالب أنها تشمل الجبال الممتدة من الطائف شمالاً إلى اليمن جنوباً، لكن الجبال الممتدة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ثم بلاد الشام، والمسماة هي الأخرى بالسراة، ليست مجال حديثنا لأنها لا تدخل ضمن بحثنا، لكنها بدون شك تختلف عن الأجزاء التي نحن بصدددها من حيث الارتفاع، والامتداد والسمات التضاريسية والمناخية، لكنها تماثلها في التكوين الجيولوجي، وتماثل الجبال الممتدة من الطائف إلى نجران ثم صنعاء وصعدة في اليمن بأنها متقاربة من بعضها متشابهة بمناخها.

ويعد الحسن بن أحمد الأحمدي الشخصية المعرفية في أرض السراة وسكانها، لكثرة تنقله في أرجائها، وله رأي في تسميتها، حيث يقول: «السراة هو ما

استوسق واستطال في الأراضي من جبال هذه الجزيرة<sup>(٦)</sup>. لكنه لم يحددها، وعند حديثه عن أطرافها الجنوبية الممتدة إلى داخل اليمن ينسب الأرض إلى القبيلة، كسرة الكلاع، والمعافر، وخولان، وغيرها<sup>(٧)</sup>. وفي حديثه عن السروات أثناء رحلته جنوباً نحو الشمال عند وصوله إلى نجران وما بعدها شمالاً أشار إلى سراة جنب، ثم تابع حديثه قائلاً: «ثم يتلوها سراة عتز، وسراة الحجر نجدها خثعم، وغورها بارق، ثم سراة ناه من الأزد، وبنو القرن وبنو خالد نجدهم خثعم، وغورهم قبائل من الأزد، ثم سراة الحلال لشكر نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران، ثم سراة زهران من الأزد، دوس، وغامد، والحجر، نجدهم بنو سواة بن عامر وغورهم لب، وعويل من الأزد، وبنو عمرو، وبنو سواة خليطي والدعوة عامرية، ثم سراة بجيلة فنجدها بنو المعترف، وأصلهم من تميم، وقال لي بعضهم - والقول للهمداني - : إنهم من عكل، وغورها بنو سعد من كنانة، ثم سراة بني شباة وعدوان، وغورهم الليث ومركوب فيلملم، ونجدها فيه عدوان مما يصلي مطار ثم سراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن<sup>(٨)</sup>.

وبعد هذا الوصف الذي أورده الهمداني عن بعض بلاد السراة، والقبائل التي تقطن فيها أشار أيضاً إلى بعض فروع تلك القبائل ومواطنها، إما في الأغوار التهامية، أو الأجزاء الشرقية النجدية، ولكنه في مكان آخر من كتابه (صفة جزيرة العرب)<sup>(٩)</sup> وضع عنواناً جانبياً سماه (أرض السراة) قال فيه : «ثم يتلو معدن البرام ومطار صاعداً إلى اليمن، سراة بني علي وفهم، ثم سراة بجيلة، والأزد من سلامان بن مفرج، ألمع، وبارق، ودوس، وغامد، والحجر إلى جرش، ثم قال : « ويطون الأزد مما تتلو عنز إلى مكة منحدر الحجر، وباطنها في التهمة ألمع ويرقى ابنسا عثمان في أعالي حلي وعشم، وذلك قفر

الحجر، وتنومة والأشجان، ونمحيان ثم الجهوة وهي قرى لبني ربيعة بن الحجر، وعاشرة العرق، وأيد وحضر ووراؤه قرى لبني ربيعة من أقصى الحجر أيضا. وحلبا قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمانيةا مصال لعنز ومن شاميةا بلد الوس والفزع من خثعم، وشرقيها ما جاور بيشة من بلد خثعم وأكلب وغوريها بلد بارق»<sup>(١٠)</sup>.

وفي مكان آخر تحدث عن هجرة الأزد من بلاد اليمن بعد انهدام سد مأرب، فقال: «وأما من سكن السروات، فالحجر بن لهنو، ولطب، وناء، وغامد، ومن دوس وشكر وبارق السوداء وحاء، وعلي بن عثمان، والنمر، وحوالة، وثالة، وسلامان، والبقوم، وشمران، وعمرو»<sup>(١١)</sup>.

وفي أماكن أخرى يشير إلى بعض المواطن التي وجدت بها تجمعات سكانية ونهضة حضارية في عصره، أمثال جرش<sup>(١٢)</sup>، فيقول عنها: «هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز ويسكنها ويتأص فيها العواسج»<sup>(١٣)</sup> من أشراف حمير، وهم من ولد يريم ذي مقار القليل، ولهم سؤدد... وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش»<sup>(١٤)</sup>. ثم يواصل الحمداني حديثه عن موقع جرش وما جاورها من البلاد فيقول: «فجرش رأس وادي بيشة، ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تية، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها...»<sup>(١٥)</sup>.

ثم يفصل الحديث في ذكر مناطق مختلفة في منطقة جرش، التي هي جزء من سراة عنز، ثم يقول: «ويأتي بعد سراة عنز سراة الحجر بن الهنو بن الأزد، ومدنها الجهوة، ومنها تنومة، والشرع من باجان، ثم يتلوها سراة غامد، ثم سراة دوس، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الطائف»<sup>(١٦)</sup>. ولكنه في مكان



آخر يفصل حديثه نوعا ما عن سراة الحجر بن الهنو، فيقول في مطلع حديثه: «أول بلاد الحجر من يأتياها عبل واد فيه الجبل ساكنه بنو مالك بن شهر، وباحان به القرى والزروع، وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة، وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحجر، وذبوب واد لبني الأسمر من شهر، ثم الرهوة رهوة بني قاعد من العدنيين من بلاد شهر قرية شعفية على رأس من السراة». (١٧). ويواصل الهمداني حديثه عن بقية سراة الحجر، وأحيانا يذكر بعض الأجزاء التهامية والنجدية لتلك السراة، مع الإشارة إلى شيوخ بعض القبائل فيها، ومثال ذلك يذكر بلدة نحيان التي هي جزء من أجزاء سراة الحجر ثم يورد اسمي علي بن الحصين العبدي من بني عبد ابن عامر، وابن عمه الحصين بن دحيم، ويشير إلى أنها الحكام على نحيان، ويذكر أيضا مدينة الجهوة وزنانة العرق في السراة نفسها، ثم يقول: «وهي لجابر بن الضحاك» (١٨).

من هذا الوصف الموجز الذي أورده لنا الهمداني عن بلاد السراة يمكننا القول بأنه ترك لنا معلومات قيمة عن تلك البلاد، بحيث لا نستطيع أن نجد لها في أي مصدر آخر، ولكن قبل الخوض في تحليل ما ذكره عن الأرض والسكان لبلاد السراة يجدر بنا أن نورد نبذة مختصرة عن التركيبة الطبيعية والبشرية لهذه البلاد في عصرنا الحاضر، وذلك ليسهل الربط بين المواقع الحالية، وبين المواقع التي مازالت تحمل الأسماء التي كانت أيام الهمداني، والمواقع التي حُرِفَت أسماءها وتغيرت عما كانت عليه في أيامه. وتقطعة البدء في هذه النبذة تبدأ من الطائف في الشمال إلى نجران في الجنوب. وأول جزء من سراة الطائف الهداة الواقعة غرب الطائف، وهي عبارة عن جبل ضخيم يسكنها قبائل من ثقيف، ومعهم جماعة من هذيل، ولذا يليها من



الجنوب شفا هذيل ، ثم يليها شفا بني سفيان ، وهم بطن من ثقيف ، وبلي ذلك من الجنوب سراة بني سعد ، ثم سراة بلحارث ، وجميع السروات والأشقية تسمى سراة الطائف ، وربما أطلق على الأجزاء المحاذية للقسم الجنوبي من الطائف سراة فهم ، وعدوان ، وقد تعرف سراة بني شبابة وعدوان ، وغورها الليث ويللم ، ونجدها وهي الأراضي الواقعة شرق أودية الطائف وجنوبها التي أشار إليها الحمداي باسم يصلي مطار . سراة بني مالك ، وهذه السراة التي كانت تعرف بسراة بجيلة على بعد مائة كيلو متر جنوب الطائف ، وتجري المياه المنحدرة من شرقها صوب تربة ، والمياه المنحدرة من غربها صوب الليث ، وقد سماها أحد الشعراء بسراة بني جرير ، نسبة إلى الصحابي جرير بن عبد الله البجلي<sup>(١٩)</sup> ، الذي هجا خالد بن عبد الله القسري ، فقال :

تمني الفخسر في قيس وقسر . . . كأنك من سراة بني جرير<sup>(٢٠)</sup>  
أما سراة غامد وزهران ، فتبدأ من أول حدود بني مالك وبلحارث ، وتبدأ صعوداً في جبل شمرخ الممتد جنوباً إلى بلد خثعم وشمران ، وتنصب مياهها الشرقية ، شمالاً في تربة ، وشرقها في رنية ، أما مياهها الغربية فتصب من الشمال إلى الجنوب في وادي عليب ، ووادي دوقة ووادي الأحسبة ، وكلها في الأضوار التهامية ، والباحة قاعدة سراة غامد وزهران<sup>(٢١)</sup> . وتقع سراة خثعم وشمران إلى الجنوب من سراة غامد وزهران ، والممتدة نحو الشرق والجنوب الشرقي حتى السهل ، ومياهها الشرقية تنصب في بيشة ، والغربية في وادي قنونا الذي يصب في سهول القنفذة من الشرق ، أما سراة بلقرن الواقعة ما بين سراة خثعم وشمران في الشمال ، وبلاد الحجر في الجنوب ، فتصب مياهها الغربية في مناطق القنفذة وما حولها ، والشرقية في بيشة ، وقاعدة هذه السراة سبت العلاية .

وتمتاز سراة بلاد الحجر بطولها وعرضها ، فهي تمتد من بلاد بلقرن شمالاً إلى

المناطق القريبة من مدينة أبها جنوباً، وتتكون من أربع قبائل هي: بنو عمرو، وبنو شهر، وبللسمر، وبللحمر، ومعظم قرى هذه القبائل تقع في الأجزاء السروية، في حين أن هناك أفخاذاً وقرى في تهامة والبادي تتبع بلاد السراة، ومن أكثر المراكز فيها، النماص، وتنومة ببلاد بني شهر، وسوق الاثنين ببللسمر، وصبح ببللحمر، وتنصب مياه الحجر العربية في وادين كبيرين هما (ببه) و(حلي) وكلها تنصب جنوب القفدة، أما في شرقها فلا يزال وادي بيشة يتلح كل أودية السروات، وأهم روافد بيشة ببلاد الحجر وادي ترج، ووادي هياء، ووادي صلحاح<sup>(٢٢)</sup>.

أما سراة عسير (عنز) فتحيط بمدينة أبها، وتشمل على أشهر القبائل العسيرة، وهي: علكم، وبنو مغيد، وربيعة ورفيدة، وبنو مالك. وكل هذه القبائل تقطن في الأجزاء الجبلية من عسير، ويتبعها قبائل رجال الملع في تهامة، وقد يدخل في هذه التبعة، من حيث الموطن الجعفرافي، بعض قرى وأفخاذ وعشائر من قبائل شهران، ولا سيما القريبة منها بمدينتي أبها وخميس مشيط<sup>(٢٣)</sup>، وتنصب مياه عير الشرقية في وادي بيشة، وتصل بين بيشة وسراة عسير بعض الروافد من أشهرها وادي ذهبان الذي أطلق عليه فيها بعد اسم وادي ابن هشبل، أما مياه السراة الغربية فتصب في مناطق البرك، والقحمة، والشقيق في تهامة، وأهم الأودية وادي عمايل الذي يصب في حلي، ووادي ريم وعمرم المذان بصبان في مناطق الشقيق، أما وادي عتود فيصب في المناطق الواقعة إلى الجنوب من البرك، والقحمة والشقيق.

أما سراة قحطان التي تندمج مع بعض عشائر شهران في بعض المواطن، والمسماة قديماً بـ (سراة جنب)، والواقعة إلى الجنوب الشرقي من سراة عسير «عنز»، فتبدأ هذه السراة بالمناطق الواقعة من الشمال والشمال الشرقي من سراة

عسير إلى ديار نجران وما حولها في الجنوب . وغالبية سكان هذه السراة من قبائل قحطان ، كسوداعة ، وسنحان ، وبني بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، والجارمة ، وخطاب وقبائل أخرى . وهذه السراة عبارة عن طود عظيم يقع ما بين السهول الممتدة شرقا إلى النهايم غربا ، ومياهاها تتجه إلى ثلاث اتجاهات : شمالا نحو بيشة ، وغربا نحو بيش ، وأهل بيشة في الشمال ، وأهل بيش في الغرب يتقاسمان الماء الآن من السراة الواقعة ما بين أبها ونجران ، أما المياه الشرقية للسراة نفسها فتصب في وادي حيونن واليدمة نحو بلاد يام .

وسبق لنا أن أشرنا إلى رحلة الهمداني الذي انطلق من سراة جنب (بلاد قحطان) متجها من الجنوب نحو الشمال ، وأثناء رحلته ذكر سراة عزم ، وبعض المواطنين والمراكز التي كانت بها ، ثم سراة الحجر ، وسراة بلقرن وغامد وزهران حتى وصل بذكره إلى بجيلة وعدوان والطائف ، ويستفاد مما ذكره أن هناك أسماء للسروات مازالت إلى يومنا هذا حية في الأدهان متداولة على اللسان ، وبعضها اندثر ، مثل ناه ، وأحيانا تلفظ باه ، والخال لشكر ، وأحيانا أخرى يذكر أسماء أماكن في البوادي أو الأغوار ، فيشير إلى أن سكانها من قبائل بلاد الأزدي السروية ، لكنه لا يذكر لأي الأفخاذ أو العشائر ينتمون ، ولا ندرى ما سر اختلاف هذه الأسماء ، وما هي العوامل التي أدت إلى اختفائها . ومن سياق حديث الهمداني عن ناة أو باة ، والخال لشكر ، وأيضا بسي خالد ، تبين أن مواطنهم ربما كانت ببلاد سراة الحجر أو سراة بلقرن ، أو ضمن بعض الأجزاء الخثعمية ، شرق سراتي بلاد الحجر وبلقرن والدليل على هذا القول ، أن الهمداني نفسه ، يذكر سراة الحجر في أثناء دهابه من الجنوب إلى الشمال ، ثم يذكر السروات التالية لبلاد الحجر نحو الشمال ، قائلا : « . . . وسراة ناة من الأزدي ، وبنو القرن ، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزدي ، ثم سراة

الحال لشكر نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد ابن عمران<sup>(٢٤)</sup>، وبهذا الوصف يذكر سراء الحجر من الجنوب، وخثعم من الشرق، وبنو القرن (الدين يطلق عليهم في وقتنا الحالي بلفقرن) في الوسط، وربما إلى الشمال مع بعض عشائر خثعم، ثم يلي ذلك بقية السروات السابقة الذكر: كعامد، وزهران، وبحيلة وغيرها<sup>(٢٥)</sup>. وبهذا العرض الجغرافي يتضح أن ناة، وبنو خالد، والحال لشكر، كانت ربما مجاورة لبلاد الحجر من الشمال، ومن المحتمل أن تكون مشاركة لها في بعض المواطن الشمالية، أما بلاد بلفقرن فمن المؤكد أنها مجاورة لهم، بل ومشاركة لهم في كثير من المواطن، لأننا نجد الحمداني في الوصف السابق يذكر ساء ثم بني القرن (بلفقرن)، ثم بني خالد، والحال لشكر، ثم غامد وزهران حتى يصل بلاد الطائف<sup>(٢٦)</sup>. وسر احتفاء ناة والحال لشكر وبني خالد، ربما أنهم اندمجوا مع قبائل السراء المجاورة: كسراء بلفقرن، أو بلاد الحجر، أو خثعم، فصاروا جزءا منهم. وكما هو معروف أن القبائل الصغيرة تدخل تحت حماية القبائل الكبيرة، إما بالعلبة، أو الاستجارة، أو الارتباط بالأحلاف، ومع مرور الزمن تنسى القبائل الصغيرة أسماءها، ويذوب كيائها في كيان القبائل الكبرى فتسمى بأسمائها<sup>(٢٧)</sup>.

وأورد الحمداني ذكر السروات في أكثر من مكان في كتابه (صفة جزيرة العرب) فذكرهم وهو ذاهب من الجنوب إلى الشمال، وذكرهم وهو ذاهب من الشمال إلى الجنوب، مع إيراد بعض الاختلاف لأسماء بعض السروات في كل مرة يذهب ويعود من عليها، فعلى سبيل المثال، سراء شبابة وعدوان الواقعة إلى جنوب الطائف ذكرها بهذا الاسم، ثم يعود مرة ثانية فيسميها سراء بني علي وفهم، وكلا الاسمين صحيح، لأن تلك الأجزاء تعرف باسمي سراء بني علي وفهم، وسراء شبابة وعدوان<sup>(٢٨)</sup>. أما بعض المواطن والقبائل في السروات،

فلم يذكرها إلا مرة واحدة. فمثلاً؛ يقول: البقوم، وشمران، وعمرو، وكل هذه الأسماء تطلق على عشائر أو قبائل تشكل بموطنها جزءاً من بلاد السراة، فشميران، مثلاً، جزء من سراة خثعم وشمران، وعمرو جبره من سراة الحجر. وقد يترأى للبعض أن الهمداني قد وقع في خطأ، ولكن الواقع كان يذكر أحياناً اسم السراة للتعميم، وأحياناً أخرى يشير إلى جزء منها ويسميه باسم القبيلة القاطنة فيه، ويتبين لنا من الوصف الجغرافي لبلاد السراة عند الهمداني، الذي يعد وصفه أفضل وصف وصل إلينا في القرون الإسلامية الأولى، أن معظم الأماكن السروية مسماة بأسماء القبائل والعشائر القاطنة فيها، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الترابط الاجتماعي بين هؤلاء السكان، الأمر الذي أكسبها قوة في بنيتها الاجتماعية تماثلت مع نية التكوين لهذه الجبال، وقد أدى هذا التماسك إلى التكافل الاجتماعي، وإلى تعمق المفهوم القبلي، رغم وحسود الأنظمة منذ بزوغ فجر الإسلام إلى الوقت الحاضر، الأمر الذي أدى إلى حدوث اتحاد بين النظام القبلي ونظام السلطة العليا الممثلة في الدولة التي ضمنت الاستقرار والأمن للجميع بالتعاون معهم إدراكاً منهم لأهمية السلطة العليا وفائدتها.

ولم يقتصر الهمداني في كتابه على وصف الأماكن وتسميتها بأسمائها الجغرافية، أو بأسماء القبائل أو العشائر القاطنة فيها، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يذكر مواقع هذه القبائل أو العشائر في بعض المواطن من بؤادٍ ونجود وسهول وأغوار، متتبعاً أفخاذ هذه العشائر أو القبائل في الأماكن التي استقرت فيها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يذكر بعض الحواضر والأرياف في أجزاء من السروات، ككنومة، ونحيان، والجهوة، وعاشرة، والعرق، وأيد، وحضر، وباحان، وبني ثعلبة، وبني نازلة، وجميع هذه المواطن في بلاد سراة

الحجر<sup>(٢٩)</sup>، والطريف في الأمر أن أغلبها إن لم يكن جميعها ما زال يحمل الاسم نفسه الذي كان يسمى به في عهد الحمداني، ولا تزال أسياء هذه الأماكن متداولة على الألسن إلى يومنا هذا<sup>(٣٠)</sup>.

وأفرد الحمداني عنوانا خاصا لمدينة جرش وصواحيبها<sup>(٣١)</sup>، فأشار إلى موقعها، ومن سكن فيها من القبائل والعشائر، وعقد مقارنة بينها وبين بلاد الحجر، باعتبار الأولى جزءا من سراة عنزة، وربما عدت أيضا من شمال سراة جنب، أما بلاد الحجر فهي سراة تقع بين سراة عنزة (عسير) جنوبا، وسراة بلقرن شمالا<sup>(٣٢)</sup>.

والواقع أن جرش لها سجل في التاريخ لا عند الحمداني فحسب، بل في كتب السير وغيرها، فقد ورد اسمها عندما قدم وفدها بزعامة صرد بن عبد الله الأزدي على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة للهجرة<sup>(٣٣)</sup>، وذكرها يعقوب فقال: «وكورة بلاد اليمن تسمى مغاليف، وهي أربعة وثلاثون» ثم ذكر منها مخلاف جرش<sup>(٣٤)</sup>، وذكرها بعض الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل كابن خردادبة، والمقدسي، وابن حوقل، والإصطخري، والإمام أبي إسحاق الحربي، وابن الجاور، وغيرهم، فبينوا أهميتها الحضارية ونشاطها التجاري خلال القرون الإسلامية المبكرة<sup>(٣٥)</sup>. وبهذا فجرش في القرون الإسلامية الأولى، ربما كانت أعظم مدينة حضارية، لأنها كانت تشمل منطقة كبيرة تحوي أغلب منطقة قبائل عسير، وجرما من منطقة قبائل قحطان وشهران، وليس ببعيد أنها كانت مركزا حضاريا مرموقا ليس في سراة عنزة وجزء من سراة حنب، بل في بلاد السروات بشكل عام، ولا يستبعد أنها كانت تأتي في المرتبة الثانية بعد مدن اليمن والحجاز الكبرى. وتعود أهمية جرش إلى نموها الحضاري لقربها من المراكز الحضارية الكبرى في اليمن، كصعدة، وصنعاء وغيرها. إلى جانب



قربها من الطريق التجاري الذي يصل مدن الحجاز بمدد اليمس ، والواقع إلى الشرق من هذه المدينة . ولم يعد اسم جرش يستخدم إلى اليوم ، وإنما اختفى تقريبا من بعد القرن الخامس أو السادس الهجري ، فلا نجد الجغرافيين المتأخرين يذكرونه ، علما أن موقع المدينة الأساسي يقع - حاليا - إلى الجنوب من خميس مشيط بحوالي خمسة عشر كيلو مترا ، على الطريق المؤدي إلى مدينة نجران (٣٦) .

### الحياة الاجتماعية:

أما الحياة الاجتماعية في بلاد السراة كما نخبرنا عنها الهمداني فقد بين في كتابه (صحة جزيرة العرب) أن التركيبة السكانية في هذه البلاد تقوم على القبيلة ، مشيرا إلى مواطن القبائل ومروجها في هذه البلاد ، فمثلا ، قبائل الأزد بمختلف مروجها استوطنت البلاد الواقعة ما بين نحران وجاران إلى الطائف وتهائم مكة في الشمال ، وقد اختلط مع هذه القبائل قبائل عدنانية ، والاختلاط بين القبائل العدنانية والقحطانية في بلاد السراة قائم منذ أمد (٣٧) . الأمر الذي أدى إلى اندماج العشائر السرازية مع القبائل الأزدية ، باعتثار الأولى أقل عددا من القبائل الأزدية القحطانية ، فانددمت بها أحيانا تحت ظروف الفهر والغلبة ، أو الجوار والمصاهرة . ويعمهم من حديث الهمداني عندما قال : « . ثم سراة زهران من الأزد ، ودوس ، وعامد ، والحر ، نحدوها بنو سواء بن عامر ، وغورها لهب ، وعويل من الأزد وبنو عامر ، وبنو سواء خليطي والدعوة عامرية » (٣٨) بأن الاختلاط والاندماج كان قائما ، ولكن ربما بنسب ، فنو سواء خليط من أفخاذ وعشائر سواء كانت قحطانية أو عدنانية ، وأحيانا

يكون خليط بمجموعة من العشائر مندرجا تحت مظلة واحدة أو اسم قبيلة أو عشيرة معينة .

وفي حديث الحمداي عن السراة ، لم يذكر وجود طبقة معينة من العبيد بها ، ولكن لا نستبعد أن يكون قد وجد بها نسبة منهم ، لأجل وقوعها في الوسط بين حواضر الحجاز واليمن الكبرى ، التي اشتهرت بنشاط أسواقها في بيع العبيد وشرائهم ، وغيرهم من السلع المختلفة ، إلى جانب أن أغوار بلاد السراة تطل على البحر الأحمر الذي يوجد به عدد من الموانئ التي كان لها صلات جيدة مع مصر والحبشة والسودان والصومال وغيرها من بلاد العالم<sup>(٣٩)</sup> . أما طبقة الموالى في بلاد السراة فقد ذكرها الحمداي صراحة عند حديثه عن جرش فقال «وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالى قريش<sup>(٤٠)</sup> ، ولعلها نالت هذا التخصيص بسبب كثرتها ، الأمر الذي أدى فرض وجودها ، مع العلم أن النص الذي أورده الحمداي لا يوضح إلى من يتسب إليه أولئك الموالى من قبيلة قريش ، وكيفية الولاء الذي كان بينهم وبين قريش<sup>(٤١)</sup> ، ولكن الأهم من ذلك أنه ربط مهنة الجزارة بالموالى دون سواهم ، لأن القبائل العربية تأنف أن تتخذ مثل هذه المهن وأشباهها ، وفي هذا يقول ابن خلدون في فصل خاص بمقدمته (العرب أبعد الناس عن الصنائع)<sup>(٤٢)</sup> ، والملاحظ أن المهن إلى اليوم لها انعكاسات على أصحابها في المجتمعات العربية .

وأثناء حديث الحمداي عن مواطن السكان ومجاورتهم لبعضهم البعض ، لم يكن يذكر معلومات عن نوعية مساكنهم ومرافقها ، ولم يوضح مما كانت تبني بيوتهم ، وكيف تصمم ، ونوع الأثاث الذي كان يوضع بها ، مع العلم أنه ذكر بعض التعميمات عن بناء البيوت ومرافقها في حواضر اليمن الكبرى ، فأشار إلى سعة بعض الدور عند الأغنياء خاصة في صنعاء وغيرها من المدن الكبرى ،

واستخدام الحجارة في البناء على هيئة طابق وطابقين ونادرا ما تكون أكثر من ذلك، وغيرها من المعلومات الجيدة حول البناء وما يتعلق به<sup>(٤٣)</sup>. ونظرا للمجاورة بين بلاد السراة وحواضر اليمس فليس يبعد أن يكون شكل بعض الأبنية والمواد المستخدمة في بنائها مثلها هو الحال في صنعاء وغيرها.

والطريف في وصف الهمداني أنه لم ينس ذكر بعض الأماكن التي وجد بها بعض المراكز الحضارية، فيذكر منطقة جرش قائلا: «ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز، ثم تندحة، وهي العين من أودية جرش، وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو أسامة من الأزد، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة، والعبيا بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز، ويلبها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز، والقرعا لشبية من عنز وهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى، وهم مسالمون للعواسيج»<sup>(٤٤)</sup>.

وهذا العرض من الهمداني لبعض أجزاء بلاد جرش نجده يذكر أسماء أماكن عديدة، تغير أسماء بعضها، وبقي أسماء البعض الآخر إلى يومنا هذا، وكلما ورد ذكره يغطي أجزاء من المناطق المعروفة حاليا بخميس مشيط، وأحد رفيدة، ومنتزه القرعا والجرة وما حولها. وكونه ينسب لذكر شبية من عنز في أرض القرعا، ويبين أن لهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع، فهذا يدل على دقة ملاحظته، فلم يكن يغفل عن حجم القرية التي كانت كبيرة، وبها مسجد جامع للمصلين<sup>(٤٥)</sup>. ولم يكن أيضا يغفل عن ذكر بعض المراكز الحضارية، وتجمعات المواطنين السكنية بها، فيورد أسماء بعض القرى المهمة في جرش، كتندحة، وغيرها، ثم يذهب إلى سراة بلاد الحجر فيذكر بها تنومة، ثم يقول: «وهي واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار، وأعلىه لبلحارث بن شهر»<sup>(٤٦)</sup>. ثم يشير إلى مدينة الجهوة التي تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش، ويواصل تدوين

ملاحظاته الجيدة عن بعض القرى في سراة خثعم، وبلقرن، وشمران، وعامد، وزهران، وبجيلة حتى مدينة الطائف. والملاحظ أن الأماكن التي أشار إليها الهمداني لم تنق على ما كانت عليه، بل تغيرت في تقسيماتها، وأحيانا في أسمائها، فعل سبيل المثال كانت منطقة الجهوة في رمة تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش، وهي من أرض بني شهر لسراة الححر، لكنها في الوقت الحاضر أصبحت جزءا صغيرا من قرية بني بكر التابعة لمنطقة النماص.

وعلى الرغم من أهمية معلومات الهمداني، فإنه لم يذكر الألبسة المستخدمة لدى أهل السراة، والمواد وكيفية تصنيعها، كما أنه لم يشر إلى أدوات الزينة والطيب عند أهل هذه المنطقة، لا سيما وأنها تقع على مفترق الطرق التجارية الكبرى التي تربط حواضر اليمن والحجاز، وبالتالي كانت هذه الحواضر مركز جلب الألبسة والمنسوجات بأنواعها، سواء كان من الجزيرة العربية أو خارجها<sup>(١٧)</sup>.

أما الموائد والأطعمة التي لاحظها وذكرها، فكان جلها من الشريد، وهو عبارة عن خبز يفت ويبل بالمرق، ويوضع فوق اللحم<sup>(١٨)</sup>، ولعله يشبه ما يسمى ببلاد الشام (بالفتة) والمضيرة، وهي طبخ اللحم باللبن حتى ينضج وتختر المضيرة، ثم تعد للأكل، وموائد أخرى تتضمن الخبز، والزبد، واللبن، والحليب، واللحوم. وجميع هذه الأطعمة محلية لتوفر موادها في بلادهم، فالقمح، والذرة، والشعير تزرع في السراة بكميات كبيرة. أما اللحوم والحليب فتؤخذ من مواشيه الموزودة بكثرة حيث المراعي الشاسعة. وأشاد الهمداني بنوع من الأطعمة، يسمى اللحوح، وهو خبز رقيق يصنع من الذرة، ويستخدم عادة مع اللبن، وقد لاحظ رفته فوصفه بالقول: «إنه إذا وقع في اللبن استرخى فلا يحتمل إلا بأكثر الأصابع»<sup>(١٩)</sup>.

وأشار إلى أطعمة السفر التي يتزود بها المسافر من اليمن إلى الحجاز، وربما تزود بها أهل السراة، فقال: «وكنا نحن نستعمل في أسفارنا الخبز والسمن واللحم والكشك والمهاد»<sup>(٥٠)</sup>. وكان من أفضل المشروبات عند أهل السراة شراب اللبن مع الزبدة، ومن أفضل المأكولات السمن الذي يستخرج من ألبان المواشي، حيث كانوا يستخدمونه مع الخبز والعصيد والمريس<sup>(٥١)</sup>، وهذا النوع من الطعام مازال مرغوباً وخاصة عند المسنين من أهل تهامة والسراة.

وبالنسبة للعادات والتقاليد عند أهل السراة كالكرم، والشجاعة، والتكافل، والتآزر سواء في المواسم أو الأعياد أو غيرها من المناسبات، فالواقع أن هذا المجتمع كان ينبوعاً وقوداً لغيره من المجتمعات في التطبيق، ولكن مع الأسف لم يشر إليه اُحمداني إلا باقتضاب شديد حينما يتحدث عن النواح بأرض السراة ومشابته بسواح اليمن، وتبين أن الذين يقومون به هم من النساء والعييد الموالى<sup>(٥٢)</sup>.

ومن الملاحظات المهمة لأحمداني - يرحمه الله - اهتمامه بالجانب اللغوي عند أهل السراة، ومقارنته بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن، والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية<sup>(٥٣)</sup>. وخلص إلى أن أهل السراة أكثر فصاحة في القول، وسلامة في اللغة حيث يقول: «الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد، فني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نحران إلى أرض يام، فأرض سنحان، فأرض نهد وبني أسامة فعتز، فحنعم، فهلال، فعامر بن ربيعة، فسراة الحجر، فدوس، فغامد، فشكر، ففهم، فثقيف، فبجيلة، وبني علي، غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سروات خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة»<sup>(٥٤)</sup>.

وطراً على بلاد السراة ما طراً على غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية بسبب سهولة المواصلات، وتيسر سبلها، الأمر الذي أدى إلى جعل العالم وكأنه بلد واحد، فحدث خلط حماعي بين سكانها، وبين الوافدين عليها من مختلف الأمكن، بل حدث أيضاً الاختلاف في بعض المفردات واللهجات من عشيرة أو قبيلة إلى أخرى. والواقع أن التسدل والتعدد في اللهجات والمفردات بلاد السراة له أهميته مثلما له طرافته، هذا لو تصدى له بعض الحثين اللعويين ليسوا تاريخه، ودوافعه وأساسه، فإنه موضوع مهم جداً في علم الدعويات، وبالتالي يتم إبراز وجه التراث العربي الأصيل.

### الحياة الاقتصادية:

أما عن الحياة الاقتصادية في هذه البلاد التي حشاها الله بعدة مرايا تؤهل ساكنيها لمزاولة العيش فيها، فهناك المراعي، والأراضي الزراعية خاصة، وهناك الموقع الجغرافي المهم، كل هذا ساعد على امتهاج الرعي ومزاولة الزراعة والنحارة إلى جانب ممارسة الحرف اليدوية على مختلف أنواعها فالرعي عند أهل البدية من المهز الأساسية في الحياة، يشاركهم فيه - أحياناً - أهل الحضر، وتبيح لكثرة المراعي وأهميتها في مقومات الحياة فقد ذكرها إهمداي في كتابه (صفة جزيرة العرب) فقال: «والصحن مراعي لسي شهر يحدوها مما يصلي يشه»<sup>(٥٥)</sup>. ويبدو أن المناطق الشرقية من السراة تمتاز بكثرة مراعيها، مما جعلها منطقة رعي عندهم إلى زمن قريب، والأكثر من هذا أننا نجد حواصر تراول الرعي إلى جانب الزراعة، وهذا مما يعرسه عند علماء الاحتياج نهاية مرحلة الانتقال وبداية مرحلة الاستقرار الدائم، مع التنوع في أساليب العيش لتحسين الدخل

ومن المواشي التي ورد ذكرها في كتاب الهمداني عن بلاد السراة، وبقيت إلى زمن قريب الماعز، والضأن، يليهما الإبل التي كانت تكثر في المراعي الشرقية للسراة لما يناسبها من اتساعها وتوفر أعشابها، إلى جانب الأبقار والمطايا من الحمير وغيرها في البلاد السروية عامة، وفي الأجزاء الجديبة والتهامية معا. وذكر الهمداني أفخاذا وعشائر في مناطق متعددة من بلاد السراة، اقتصر عملهم على رعي الماشية، وجمع الخطب، وصيد الحيوانات البرية، ومعظمهم من سكان المناطق الشرقية للسراة<sup>(٥٦)</sup>. ويبدو من كلامه أيضا أن الزراعة كانت لها الأولوية بين المهن، لكثرة المزارع والبساتين وما بها من خضر وفاكهة، ويعود ذلك لوفرة المياه في الآبار والأودية، ونزول الأمطار في معظم أيام السنة بسبب هبوب الرياح الموسمية على اليمن وعلى بلاد السراة بشكل عام، ومما ذكره الهمداني هذا الخصوص قوله: «وبسراة الحجر البر، والشعير، والبلس، والعتر، واللوييا، واللوز، والتفاح، والحوخ، والكمشري، والإحاص والعسل...»<sup>(٥٧)</sup> ويذكر ثانية سراة الحجر: «... ثم حبان واد مستقبل القبلة فيه التفاح واللوز والشمار...»<sup>(٥٨)</sup> ويذكر عدة أصناف من المحاصيل الزراعية التي اعتاد الملاحون زراعتها، في بلاد جبب وعمر وغامد، وزهران، وبعيلة، وغيرها من المناطق الأخرى «إذ دلّ هذا على شيء، فإنها يدل على صلاحية المنطقة للزراعة، لما تحويه من وفرة المياه، وخصب التربة، لكن مع الأسف لم يذكر لنا الأساليب الزراعية المستخدمة في المنطقة، ولا كيفية بناء المدرجات الزراعية وحفر الآبار لاستخراج الماء من باطن الأرض، رغم وجودها منذ زمن بعيد<sup>(٥٩)</sup>.

والملاحظ أن هذه المنطقة غنية بالأشجار والأعشاب البرية، ومن هذه الأشجار شجر الطرفاء، والأثل والسلم، والقرظ، والشبرم، والشوحط،

والتالب، والثث وغيرها<sup>(٦٠)</sup> ولم ينفرد الهمداني بذكر ما في السراة من أشجار بيرة متنوعة، بل سبقه في ذلك أبو حنيفة الدينوري<sup>(٦١)</sup>، ومن يطالع كتابه (النبات) يجد أنه لا يكتفي بذكر أسماء الأشجار، بل يشير إلى وصفها من حيث شكلها، والمناطق الملائمة لها، وأين تكثر وأين تقل، والأغراض المستخدمة من أجلها، سواء كان في التجارة أو الدباغة، أو الصياغة أو غيرها<sup>(٦٢)</sup>

أما الحرف والمهن اليدوية، فلم يكن الهمداني يتم بذكرها، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك العديد من الحرف التي يتم مزاوتها لدى أهل البلاد، والسبب الذي يجعلنا نجزم بوجود بعض منها، هو أن المقومات الأساسية لبعض الحرف كانت متوفرة، وأشار الهمداني نفسه إلى بعضها، فمثلاً حرفة الدباغة كانت تحتاج إلى مناخ معتدل، وإلى جلود المواشي، وكذلك إلى بعض أوراق الأشجار المهمة في عملية الدباغة، وكل هذه الأشياء في متناول أيدي أهل السراة<sup>(٦٣)</sup>، وقس على مهنة الدباغة منها آخر، كالحرازة، والحدادة، والخياطة، والصياغة وغيرها من الحرف الكثيرة<sup>(٦٤)</sup>.

ولم يغفل الهمداني عن ذكر الحائث التجاري في بلاد السراة أثناء تجواله في ديارها من الجيوب إلى الشمال بسبب امتهانه مهنة الجمالة، حيث كان هو وصحبه ومن شاركهم في هذه المهنة يحملون أمتعة المسافرين والنحار على جملهم، لكنه مع الأسف لم يذكر لنا تقاليدهم المتبعة في هذه المهنة، من حيث الأجور: هل تحسب بحسب الزمن ونوع الأمتعة، أو بالمسافة وكمية الأمتعة؟ كما أنه لم يشير إلى أساليب التعاون وكيفية تطبيقها بين الجمالين. ولم يشير إلى كيفية التعامل والتبادل التجاري الذي كان معمولاً به في المراكز التجارية ببلاد السراة، ولا إلى الأعراف التجارية والعقود المبرمة بين أصحاب المهن والتجار في كل من حواضر اليمن والحجاز كالطائف ومكة المكرمة، والمدينة المنورة،



وصنعاء وصعدة، وغيرها من الحواضر الأخرى، حيث نشطت التجارة في هذه الحواضر منذ أمد بعيد حتى أصبح لها تراث تجاري راخر في التقاليد والأعراف التجارية، وهذا ما أشاد به الهمداني وغيره من أصحاب المؤلفات الجغرافية، خاصة عن كانت مؤلفاتهم في ذكر الأقاليم، وما يوحدها من خيرات، وذكر المسافة فيما بينها<sup>(٦٥)</sup>. وخض الهمداني الطرق التجارية التي كانت تربط الحجار باليمن مسارة سلال السراة، أشداء من صنعاء وانتهاء بمكة المكرمة، فذكر الطريق الممتد من صنعاء مارا بصعدة، فحرش، فيشة حتى الطائف ثم مكة المكرمة، والطريف في الأمر أن الهمداني ذكر طول المسافة بين كل محطة وأخرى بالأميال، وهذا يعكس لنا دقته في قياس طول الطريق أثناء دهايه وإيابه فيها<sup>(٦٦)</sup> وذكر الطريق الساحلي الذي يربط الحجار باليمن مارا بالسهول الواقعة على الساحل بمحاذاة البحر الأحمر، ذاكر المراكز والمحطات التي يمر بها بعد مروره من اليمن، ومن تلك المراكز، حلي، وقبوا، ودوقة، والسرين والمليث، وعبرها حتى يصل مكة المكرمة. وهناك له طريق تجاري آخر يصل حضرموت بمكة المكرمة، ويلتقي مع طريق صنعاء - مكة المكرمة - السابق الذكر - في محطة تبالة<sup>(٦٧)</sup>.

## الحياة العلمية والفكرية:

وكان الحر العلمي والفكري في السراة مساسا لعمو الذور العلمية بسبب وضع السراة المميز ما بين اليمن والحجار، حيث وجد فيها كثير من المراكز الحضارية والفكرية، والأهم منها الحرمان الشريفان في مكة المكرمة، والمدنية المنورة، وقصد الناس إليهما على مختلف مستوياتهم العلمية، لأداء فريضة

الحج، وربما للاستقرار في إحدى الحاضرتين لمجاورة أحد الحرمين، إلى جانب ما تمتعت به المدينة المنورة من مركز سياسي مرموق أيام كانت عاصمة الدولة الإسلامية في زمن الرسول - ﷺ - وزمن الخلفاء الراشدين. ومع انتقال عاصمة المسلمين إلى دمشق في بلاد الشام أيام الأمويين، إلا أن هذا الانتقال لم يقلل من أهمية الحاضرتين، لا سيما من الناحية العلمية، لأنها بقيتا مركزا استقطابا للعلماء في مختلف التخصصات، ولكون بلاد السراة تقع ما بين اليمن والحجاز، فلا بد أن تنال قسطا من العلم سواء من علماء اليمن أو علماء الحجاز، خاصة وأنها معبر لأهل اليمن أثناء نوحهم لمكة والمدينة. والقارئ لكتب التراجم وغيرها من كتب الأولين، ككتاب الطبقات لابن سعد، وأسد الغاسة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، كل هذه الكتب وغيرها يجد فيها القارئ معلومات قيمة عن علماء وفقهاء، وشعراء، وأرباب سيف وعبرهم، عاشوا في حواضر هذين القطرين (اليمن والحجاز)، وفي غيرها من حواضر العالم الإسلامي كالكوكة، والبصرة، ودمشق، وبغداد، وغيرها، وبعضهم كانوا سراة المولد، حجازيون، أو يمنيون، أو كوفيون، أو بعداديون، أو دمشقيون بالاستقرار. ولكن مع الأسف لم نجد هذه المنطقة (السراة) ذكرا واسعا وصرحيا في مثل هذا المجال. ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والمؤلفين بشكل عام بالمراكز الحضارية الشهيرة في العالم الإسلامي أكثر من اهتمامهم بالمناطق المعمورة، والواقع أن منطقة السراة ظلت منسية ردحا طويلا من الزمن، ولهذا وجب علينا أن نقوم بالبحث عن المصادر التي تعرضت لها لكي نظهرها للوجود حتى تكون عذاء دسما وصروريا للأجيال

وها هو الحمداني - يرحمه الله - يدون لنا معلومات قيمة استفدنا منها الكثير في معرفة أحوال المنطقة من جميع الجوانب ، لكن على الرغم من أهميتها ، فإنها لم تف بالمطلوب في معرفة الحياة العلمية وأساليب التعلم فيها ، وفي التعرف على الشعراء والأدباء الذاهبين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، أو ذهابهم هم أنفسهم إلى المدينتين المقدستين والاجتماع سرجال العلم والفكر فيها ، ومن أبرز الشعراء الذين عرفناهم في بحثنا هذا الشاعر أبو الحياش الحجري الذي يتسبب إلى الحجر بن الهنو ببلاد سراة الحجر الذي ورد ذكره أثناء تجمع بعض الشعراء من نجد والحجاز والسراة في مكة المكرمة ، وكان أبو الحياش يمثل أهل السراة ، عندما غلب على الناس القحط وقلة الأمطار ، فأشد الشعراء قصائد شعرية ليتوسلوا فيها إلى الله جل جلاله طالبين الرحمة والغيث ، وقد ذكر الحمداني بعض تلك القصائد التي قالها الشعراء المختلفون في مكة المكرمة (٦٨) ، وقد أورد القصيدة التي قالها أبو الحياش ، فقال في مطلعها :

رب ما خاب من دعاك ولا يحسب ————  
لم يحب للنبي يعقوب يا ذا ال ————  
رب أنت الذي رددت عليه بصرا كان قد عمه البكاء  
ثم جاء إلى وصف الأرض التي عمها القحط فكان أعلى ما ذكر مواطن  
ببلاد تهامة والسراة ، فقال :

رحمة منك قَب لنا إننا نحسب ———— من لك — الله — أعْبُد وإماء  
إن هاتا لأزمة عمت النا ———— سر ومَسْتَهُم لها البأساء  
ولكم ثم كم سقيت لنا الأر ———— ض غيوثاً أنت بها الأنواء  
سقيت برمة قرى خلب من ———— ها فجازان تلك فالصبياء

فقرى بيش، فالدويبات فالبر  
ومن الطود فالزمامات خضر  
فقرى الحجر جهوة الزرع والضر  
فجبال السراة فالفرع الوسـ  
فالذرى من سراة غامد فالنمـ  
فقرى السدارتين أرض على  
فقنونا فأرض دوقة فالليـ  
سك فحلي معطورة غيناء  
رويت فسالتنومة الزهراء  
ع فأشجانها الحنا فالجباء  
طى حكين الجنان فالخفاء  
رفأجبال دوسها طحباء  
سهلها والجبال منها الماء  
ث فعشم الرين فالسراة (٦٩)

ويستنتج القارئ من قراءته لهذه الأبيات حرص الشاعر أبي الحياش على ذكر أسماء بعض الأماكن والمواقع في ملاده (أرض تهامة والسراة) وقد حاول عدد البعض منها، وبين حرصه مع صبح عاطفته على جميع الأماكن التي ذكرها، راجعاً من الله أن يشملها برحمته ينزول الغيث عليها. كما يستخلص أيضاً من مشاركته مع غيره من شعراء شبه الجزيرة العربية أن ملاد السراة كانت غير خالية من العلماء والأدباء والشعراء، ولو لم يكن ذلك لما كان هذا الشاعر السروي قام وأخذ نصيب المشاركة مع غيره من الشعراء، ومخاصة في حاضرة مكة المكرمة التي عرف عنها النشاط العسكري والثقافي منذ عهود قديمة، ولكن كما ذكرنا سابقاً أن السريان وعدم التدوين عن هذه البلاد جعلها الكثير من تراثها يندرس ويضيع.

ومن معوقات العيش في ملاد السراة، فلم يكن الهمداني ينسى ذكر بعضها، وبحاصة القحط وقلة الأمطار، كما ورد معنا، وكذلك غلاء المعيشة وقلة الأطعمة وغيرها من العوائق التي قال عنها: «أصابت الناس أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء سموها سنة الجمود، لجمود الرياح فيها، وانقطاع الأمطار، وذهاب الماشية وهزائها، وثبات الغلاء، وقلة الأطعمة، وتصرم المياه في الأودية

والآثار<sup>(٧٠)</sup>. ومثل هذه المشاكل لا بد أن تكون قد أثرت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والفكرية، أيضا قد لا تكون معوقات الحياة مقصورة على ما أورد الحمداني، ولكن من المحتمل أن يكون هناك عوائق أخرى، البعض منها قد يكون سياسيا أو اقتصاديا واجتماعيا. ومن يعرف أحوال العشائر والقبائل العربية ولا سيما البعيدة عن المراكز السياسية في العصور الإسلامية الوسطى، فلا بد أن يدرك أن الفوضى والسطو والنهب والحروب القبلية كانت حرة من حياة أفراد العشيرة أو القبيلة الواحدة، ولا يستبعد أن تكون بلاد السراة، بما فيها من عشائر وقبائل، كانت من أكثر المناطق امتلاء بالفوضى والصراعات القبلية، وذلك لكثرة القبائل المتعددة بها، ولبعدها عن مراكز القيادة والإدارة المركزية في عواصم الخلافة الإسلامية.

## الخاتمة

وبهذا فالحسن الحمداني يعد رائدا في كتاباته عن بلاد السراة، فلم يكن يقصر تدوين ملاحظاته على مواطن القبائل وتوزيعها، لكنه أضاف أشياء مفيدة في جوانب علمية مختلفة.

وبعد فقد تميز البحث في الكشف عن نقاط غامضة، وأخرى مهمة، فقد تطرق إلى موقع السراة مبنا أهميته. وإلى اسم المنطقة وسبب هذه التسمية. واختلاف الاسم الحديث عنه. كما أشار البحث إلى الناحية الاجتماعية مبنا مواطن القبائل، ونظام الموالد، وطرق الظهي، وأسماؤه. وأشار إلى المراكز التجارية وأثرها في نمو المراكز الحضرية، والأزدهار الثقافي الناجم عن توسطها بين مركزين مهمين، اليمن والحجاز، وخاصة الأخير الذي لا يزال يتمتع بشهرة كبيرة بسبب وجود الحرمين الشريفين فيه وما أسرما إليه في هذا البحث قد يفتح الأفاق لبعض الباحثين، وبخاصة من أهل السراة أنفسهم، لأهم أدري بمواطنهم من غيرهم فيضيفوا سالتحليل أو القصد أو التصحيح لكل ما تم إيراده. آمليين من الله التوفيق والسداد في بناء هذا الصرح العلمي لهذه المنطقة التي لا يزال الكثير من قضاياها التاريخية بحاجة إلى جهود الباحثين والدارسين لإبرازها.

## المراجع والتعليقات

- ١- انظر: الحسن بن أحمد الحمدي، الإكبريل من أحبار اليمن وأندلس خير، تحقيق محمد الدين الخطيب (بيروت: دار الساكن، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٢٥ وما بعدها، حرجي وريدان، تاريخ أدب (لقاهرة: دار هلال، تاريخ لشر غير معروف) ج ٢، ص ٢٠٩-٢١٠.
- ٢- الحسن بن أحمد الحمدي، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي لأكونج الخولي، وإشراف حمد الحامس (الرياض: منشورات دار البهاجة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ٣٥٦، ولتمريد من التتصيلات عن حياة الحمدي: انظر، المقدمة التي كتبها حمد الحامس في أوائل صفة جزيرة العرب، وقاموس الأعلام، خير الدين الزركلي، (طبعة بيروت، ١٩٨٠م) ج ٢، ص ١٧٩.
- ٣- انظر مقدمة الحامس في كتاب صفة جزيرة العرب، ص ١٨.
- ٤- انظر: مفصلات أكثر عن الحمار، بما فيه ملاد السراء المعبية في هذا البحث، صانع أحمد لمعي، وتحديد الصغار عند المتقدمين، مجلة لعرب ج ١ (١٣٨٨هـ/ ١٩٧٨م) ص ١-٩، عبد الله لوهبي، «الحمار كما حدهه الجغرافيون لعرب» مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود (الرياض: سابق)، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ج ١، ص ٥٣-٧٠.
- ٥- الحمدي، صفة جزيرة العرب، ص ١١٥ وما بعدها، عبد الله بن عبد العزيز السكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى اسفا (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، انظر: مقدم المحقق، ص ٨-١٣، ج ٣، ص ٧٣، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ج ٢، ص ٢١٨-٢٢٠.
- ج ٣، ص ٢١٧-٢١٨.
- ٦- الحمدي، صفة جزيرة العرب، ص ٦٤.
- ٧- المصدر نفسه، ص ١٠٥ وما بعدها.
- ٨- المصدر نفسه، ص ١١٩-١٢٠.
- ٩- المصدر نفسه، ص ٢٦٠-٢٦١.
- ١٠- المصدر نفسه.

١١ - المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

١٢ - حرش من أعظم المراكز الحصارية في بلاد السراة خلال القرون الإسلامية الأولى، وقد كان يطلق عليها أحيانا مخلاف حرش، وربما تأخر في المرتبة لثأبه بعد الحوصلة الهيبية الكبرى، كصعامة وصعدة وغيرها، ولعمري من التفضيلات عن موقعها وأهميتها انظر الكري. معجم ما استمعهم مع، ج ١، ص ٢٠١، ص ٣٧٦، بانقوت معجم اسناد ج ١، ص ١٢٦ - ١٢٧، محمد أحمد ممر مدية حرش من المراكز الحصارية القديمة (حميس مشيط، دار حرش لدفتر وانتوزيع، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١١ - ٣٥، حد الحاسر احرش قاعدة الأزده عملة العرب، ج ٧، لسة الخامسة، محرم/ ١٣٩١هـ، ص ٥٩٣ - ٦٠٠.

١٣ - والعوامج يقطون ليوم في وادي اس هسل، بلاد شهران، ويطلق عليهم انواشر حتى يومنا هذا.

١٤ - المفضل، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٥.

١٥ - المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

١٦ - المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

١٧ - المصدر نفسه، ص ٢٦١.

١٨ - المصدر نفسه.

١٩ - حريير بن عبد الله النحلي كان من الذين وفدوا على الرسول ﷺ من وفد محبلة، وكان له مساهمات عظيمة في توطيد الإسلام بين أهل السراة، وكذلك في مبادئ الفتح الإسلامية المبكرة، وبخاصة في جهة الجهاد ضد الكفر من التفضيلات من شخصية حريير بن عبد الله وأعماله، انظر محمد بن جرير الطبري تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفصّل إسماعيل (بيروت دار سويدان، تاريخ الشر عبر معروف) ج ٣، ص ٣٦٥، ٣٦٩، المسعودي (بيروت دار المعرفة، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م) ج ١، ص ٨٢، أحمد بن محمد بن عبد الله المقدم الثمين (بيروت دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

٢٠ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٧، ص ١١٣٠، حد الحاسر في سراة حماد ووهران، موصى، مشاهدات، انطباعات (الربيع) دار اليمامة، ١١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص ٣٥٦.

٢١ - لليريد من التفضيلات من بلاد حماد ووهران، انظر كتاب الحاسر المذكور في الملحوظة السابقة.

٢٢ - لليريد من التوضيحات عن قرى وعشائر ومواطن أهل سراة الحجر انظر، عصر عرامة العمري.

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد الحجر (الربيع) دار اليمامة، ١٤٩٧ -

(١٣٩٨هـ)

٢٣- وللمريد عن بلاد عسير وشهران، انظر: هاشم العمري، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، مؤسسة الطباعة والنشر، مكة، (تاريخ الشرح)، محمود شاكر عسير (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ١- عبد الكريم عائض سعد ال طالع، قبيلة شهران، بن الماضي والحاضر (الرياض: المطابع الأهلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٢٤- الحمداي، وصفة جزيرة العرب، ص ١١٩- ١٢٠.

٢٥- المصدر نفسه.

٢٦- المصدر نفسه.

٢٧- للمريد من التصديق عن وضع القبائل العربية في العصر الحاضر، والعصور الإسلامية المختلفة، وكيف كانت العنصر والقبائل الصغيرة تدخّل في حماية القبائل الكبيرة، وبالتالي يطلب اسم القبيلة الكبيرة عن أسماء القبائل الصغيرة التي دحمت تحت حمايتها. انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م- ١٩٧٨م) ط ٢، ج ٢، ٣، ٤.

٢٨- الحمداي، وصفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠، الحاسر، في مرآة عامد وزهران، ص ٣٥٦.

٢٩- انظر: الحمداي، وصفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠- ٢٦٢.

٣٠- للمريد من المعرفة عن أسماء ومواقع هذه الأماكن سرة الحجر، انظر: عمر عرامة العمري، بلاد رجال الحجر، ص ٥١ وما بعدها.

٣١- انظر: الحمداي، المصدر السابق، ص ٢٥٥ وما بعدها.

٣٢- وللمريد من التمهيلات عن حديث الحمداي حول حرس وبلاد الحجر، انظر: وصفة جزيرة العرب، ص ٢٥٥- ٢٦٢.

٣٣- لمريد من المعلومات عن وفد حرس الذي قدم عن الرسول (ﷺ)، انظر: عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا (مكة: وتاريخ الشرح عبر معروفين) مع ٢، ج ٤، ص ٥٨٦- ٥٨٨، محمد بن سعد الطبعات الكبرى (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ج ١، ص ٣٣٧- ٣٣٨.

٣٤- أحمد بن واضح المقفوري، كتاب البلدان (تحقيق إم دي عوي (لندن: مطبعة ريل، ١٨٩١م) ص ٣١٧- ٣١٨.

٣٥- انظر محمد أحمد معمر، المرجع السابق، ص ٣٧- ٤٤.

٣٦- للمريد من التصديق عن مدينة حرس، تاريخها، وموقعها، انظر: محمد أحمد معمر، المرجع السابق،



ص ١١ وما بعدها، حمد الجاسر «جرح قاعنة الأزدي»، ص ٥٩٣ وما بعدها.

٣٧- لمزيد من التوضيحات عن القبائل القحطانية (الأردية) والعذنانية في بلاد نهامة والسراة، انظر: هشام بن محمد الكلبي، «جمهرة النسب الكبير»، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق ناجي حسن (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨١م)، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي. «جمهرة أنساب العرب» (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ١٨ وما بعدها، عمر بن غرامة العمري. «قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام» (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ج ١، ص ٥٧ وما بعدها.

٣٨- الحمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١١٩ - ١٢٠.

٣٩- النشاط التجاري خلال العصور الإسلامية الوسطى كان جيداً، وبخاصة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة بالحجاز، وصنعاء وصعدة وغيرها من مدن اليمن الكبرى، إلى جانب وجود طرق تجارية، برية وبحرية، نشيطة تربط تلك الحواضر مع أجزاء عديدة في العالم الإسلامي آنذاك. وللمزيد من التفصيل انظر: في المصادر والمراجع التالي ذكرها. شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي. «كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، تحقيق: إم دي غوي (لندن: مطبعة بريل، ١٨٧٦م) ص ٧٩، ٩٧، محمد بن أحمد بن جبير. «رحلة ابن جبير» (بيروت: اسم الناصر وتاريخ النشر غير معروفين) ص ٩٦ وما بعدها؛ ناصر الدين خسرو القيادي المروزي. «رحلة ناصر خسرو، ترجمة وتقديم أحمد خالدة البديلي، (السرايا: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ١٢١ وما بعدها؛ غيثان علي جريس. «الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة» مجلة العرب، ج ٧، ٨، السنة (٢٦)، ١٤١٢هـ، ص ٤٤٧ - ٤٦١.

٤٠- الحمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

٤١- كان العرب في صدر الإسلام ولا سيما في العهد الأموي يسمون غير العرب من المسلمين بالموالي، وكان المسلمون في البلاد العربية، كالعراق، والشام، والحجاز وغيرها قد ألفوا عادة الانتهاء بالولاء إلى من يريدون من الشخصيات العربية المرموقة والانتساب إلى قبائلها أسماء، وإن لم يكونوا منها فيكتسبون بذلك بعض حقوق القرابة بالنسب، كالمساعدة، والحماية، والتأييد. ومن الموالى أيضاً من كان في منزلة الرق ثم أعتقوا من قبل ساداتهم فصاروا في مكانة أخرى بين الرق والحرية هي منزلة الولاء أو الموالى. للمزيد من التفصيل عن الولاء انظر: محمد بن منظور لسان العرب، نسق وعلق عليه علي شبري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ج ١٥، ص ٤٠١ -

- ٤٠٦ - عبد الرحمن محمد بن خلفون. تاريخ ابن خلدون (بيروت: دار العلم للجمع، تاريخ النشر غير معروف) ج١، ص ٣١٨ وما بعدها.
- ٤٣ - انظر: تفصيلات أكثر: الحمداي، صفة جزيرة العرب، ص ٣٤٤ وما بعدها؛ وللمزيد من التوضيحات عن الحياة الاجتماعية في حواضر اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها، انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤ وما بعدها؛ أحمد بن عمر بن رسته. كتاب الأعراف النفسية، تحقيق: إم دي غوي (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩١م) ص ١٠٩-١١٥.
- ٤٤ - الحمداي، المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- ٤٥ - الحمداي، المصدر نفسه، ص ٢٥٦، ٢٥٧.
- ٤٦ - المصدر نفسه، ص ٢٦١.
- ٤٧ - لمزيد من المعلومات عن الحياة التجارية في اليمن والحجاز وعلاقة تلك الأجزاء ببلاد السراة، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٠ وما بعدها، جريس الطرق التجارية... ص ٤١٧ وما بعدها، أحمد عمر الزيلعي. مكة وعلاقتها الخارجية ٣٠١-٤٨٧هـ (الرياض: عيادة شئون المكتبات بجامعة الرياض، ١٩٨١م) ص ١٥٥ وما بعدها.
- ٤٨ - الحمداي، صفة ص ٣٤٠، ٣٥٦.
- ٤٩ - الحمداي، المصدر نفسه ص ٣٤٠.
- ٥٠ - المصدر نفسه، ص ٣٥٦، والمهادد الحيز المهود والكشك طعام يتخذ من نقع البرغل بعد اختياره فبغت ويطبخ، الحمداي، المصدر نفسه، ص ٣٥٦، ملحوظة (٢).
- ٥١ - الحمداي، المصدر نفسه ص ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠.
- ٥٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦٥، وقد أخبرني بعض المختصين في تاريخ المغرب والأندلس، فذكر أن مثل هذه العادة كانت ولا تزال عند بعض المغاربة، وبخاصة في المغرب الأقصى.
- ٥٣ - انظر: الحمداي، صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٧-٢٧٩.
- ٥٤ - المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
- ٥٥ - المصدر نفسه، ص ٢٦٢.
- ٥٦ - المصدر نفسه، ٢٦٢، ٣٠٢.
- ٥٧ - المصدر نفسه، ص ٢٦٢.
- ٥٨ - المصدر نفسه، ص ٢٦١.

٥٩ - من يلاحظ الأبار والمدرجات الزراعية ببلاد السراة، في يومنا هذا يلاحظ الجهد الكبير الذي بذل في بناء مدرجات عالية الارتفاع، لكي تحافظ على ثروة المزرعة، وكذلك آبار بعيدة العمق، والتي بعضها حفرت في صخور صماء، وبأدوات بدوية قديمة. بهذا لو خرج أحد أبناء السراة بدراسة علمية جادة تتبع فيها متى وكيف عملت تلك المدرجات الزراعية التي نلاحظها في طول وعرض البلاد، وكذلك تلك الأبار الكثيرة التي يظهر على بعضها قدم العهد.

٦٠ - المصدر نفسه، ص ٢٧٦، ٣٠١.

٦١ - يعتبر الدينوري من أفضل من كتب عن النباتات وبخاصة في بلاد السراة من بلاد الجزيرة العربية. ومن كتبه التي وصلتنا عن النباتات ما يلي: كتاب النبات، الجزءان الأول والثاني، تحقيق محمد حيد الله، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، عام ١٩٧٣م، والجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، شرح وتحقيق المشرق برناردلقين، بألمانيا عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦٢ - وقد جاء بعد الدينوري وأحمداني بعض الجغرافيين واللغويين فذكروا أسماء عديدة للأشجار والنباتات الموجودة ببلاد السراة، ومن أولئك العلماء على سبيل المثال لا الحصر، عزام بن الأصبع السلمي، في كتابه أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما بنيت عليها من الأشجار وما فيها من المياه؛ واليكزري في كتابه، معجم ما استعجم؛ وياقوت الحموي، في كتابه معجم البلدان، وفي بعض المعاجم اللغوية، كالقاموس المحيط للفيروزآبادي، ولسان العرب، لابن منظور، وتاج العروس، للزبيدي.

٦٣ - للمزيد من التوضيحات عن مهنة الدباغة، كيفيتها، وأساليب مزاولتها، والمواد الأساسية في ممارستها، انظر: «باب الدباغة» المذكور في كتاب النبات، للدينوري، تحقيق المشرق برناردلقين، ص ١٠٤ - ١٢١، أيضاً انظر: كتاب المخصص، لابن سيدة (مطبعة بولاق بالقاهرة، ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) ج ٤، ص ١٠٤ - ١١٦.

٦٤ - ولمعرفة بعض التوضيحات عن المهن والحرف بشكل عام خلال القرون الإسلامية الأولى، وبخاصة في المناطق المجاورة لبلاد السراة كحواضر الحجاز واليمن. انظر: عبد العزيز إبراهيم العمري. الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (الدوحة: مركز التراث الشعبي، ١٩٨٥م) ص ٤٧ وما بعدها؛ عبد الله محمد السيف. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ١٥١ - ١٦٨؛ جميل حرب محمود. الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة: دار تهامة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١٢٦ - ١٢٨، ١٤٨ - ١٥٠؛ غيثان علي جريس «أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة» مجلة المنهل عدد (٤٩٢) مج ٥٣ (١٤١٢هـ) ص ٨٢ - ٩٦.

٦٥ - لمزيد من التفاصيل عن النشاط التجاري في حواضر اليمن والحجاز خلال العصر الإسلامي الوسيط . انظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ وما بعدها ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٩٦ وما بعدها ، الزيلعي . مكة وعلاقتها الخارجية ، ص ١٥٥ وما بعدها ، جبل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١١٧-١٥٩ .

Patricia Crone. Meccan Trade and the Rise of Islam (Oxford): Basil Blackwell Ltd., (1987);  
Abdullah Alwi Hassan. "The Arabian Commercial Background, Islamic Culture (Vol. LXI,  
No. 2, April, 1987, p. 70-83.

٦٦ - حول شرح الحمدي لأطوال تلك الطريق التي تربط بين صنعاء والطائف مروراً بالسراة ، انظر : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٨ - ٣٤٠ . لم يكن الحمدي هو الوحيد الذي ذكر تلك الطريق ، وإنما بعض من الجغرافيين الأوائل أشاروا إليها أيضاً مثل : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٤ وما بعدها ، عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة . المسالك والممالك تحقيق ، إم . دي غوى (لندن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ص ١٣٣ وما بعدها ، وضمن هذا الكتاب ، كتاب الخراج وصناعة الكتابة . لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، الذي أشار أيضاً إلى ما أشار إليه اليعقوبي وابن خرداذبة ، ص ١٩١ وما بعدها ، انظر : أيضاً ، الإمام أبا إسحاق الخوري ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٦٤٣ - ٦٤٩ .

٦٧ - الحمدي ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ - ٣٤٣ .  
٦٨ - انظر : تلك الأشعار في كتاب ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٧٨ - ٣٨٤ ، وأيضاً انظر : تفصيلات أكثر في مقالة عبد الله الناصر الوهبي "تجديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية" .  
بحث مقدم في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ج١ ، ص ٣٦٣ - ٣٧٥ .

٦٩ - الحمدي ، المصدر السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .  
٧٠ - المصدر نفسه ، ٣٧٨ .